الطفل المتأخر (١)

في « مؤتمر الطفل » الذي عقدته رابطة الاصلاح الاجتماعي في القاهرة في السنة الماضية برئاسة رئيسها حضرة صاحب المعالي احمد نجيب الهلالي بك وزير المعارف الآن التي معاليه خطبة الافتتاح فقال فيها: « وها انتم اولاء ترون حالة الاطفال في بلادنا. فسواد الامة يجهلون تمام الجهل كيفية تدبير الطفل وطرق تمريضه وتغذيته وتنميته وتقويته ووقايته عوامل العلل والضعف والاطفال الذين يسلمون من الموت يحيون حياة ناقصة من حيث الجسم والحيوية ومن حيث العقل والروح. وكل أمة تهمل شأن الاطفال انما تختار انحدارا قوميا وتكون عرضة للضعف والاقواء »

وهذا كلام موجز بليغ في مكانة الطفل السليم في المجتمع ومن حسن الحظ ان اتيح لمصر عقد هذا المؤتمر للدلالة على نواحي المشكلة التي يجب ان تعالج باقلام المختصين بها ومن حسن الطالع ايضا ان معالي الداعي الى هذا المؤتمر ورئيسه اصبح اليوم وفي يده مقاليد التربية جميعا وليس عندنا شك في أن معاليه سيبذل ما في وسعه ووسع الوزارة التي يتولاها لوضع قواعد الاصلاح اللازم والسعي الى تحقيقها. ومن محاسن الاتفاق انه في اليوم الذي تولى معالي الاستاذ احمد نجيب الهلالي بك وزارة المعارف تلقينا من انكلترا كتابا في « الطفل المتأخر »(١) واسباب تأخره واساليب اصلاحه وعلاجه بقلم الدكتور سيريل برت استاذ علم النفس في جامعة لندن فاتجه فكرنا الى مؤتمر الطفل عندنا في السنة الماضية لان جميع الذين خطبوا فيه عالجوا بعض النواحي التي يتوسع فيها هذا الكتاب ويبسطها بسطا وافيا

لم يؤلف هذا الكتاب كتاب سابق عالج فيه الطفل الآثم delinquent أي الطفل الذي فيه شذوذ وضعف خلقي. أما كتابه هذا فقد عالج فيه الطفل المتأخر من الناحية العقلية. وهو يحتوي على أهم النتائج التي توصل اليها من حيث طريقة البحث واسباب التأخر واساليب الاصلاح والعلاج واضاف اليها كذلك احصاءات واسعة النطاق جمعها هو والمشتغلون معه خلال تنقيبهم في منطقة لندن عن ظاهرة التأخر العقلي بين اطفالها. وعلى القارىء الا مطالعة فهرس الكتاب حتى يعرف مبلغ الجهد الذي بذل في وضعه ثم اذا قلب فصوله وأنعم النظر في اجزائها تبين له ان الاسلوب الذي جرى عليه المؤلف علمي محض مرتب احسن ترتيب علاوة على كونه يشمل اهم ما وصل اليه الباحثون في هذا الموضوع مضافا اليها نتائج الباحث نفسه. وقد خصص المؤلف الفصل الاول من كتابه للتفريق بين الطفل الذي نشأ تأخره العقلي عن شذوذ في جسمه او ذهنه او انفعاله ثم بين الشذوذ النظري وللكتب وان النقص في الذكاء والتأخر في الدراسة يعودان الى اسباب جسمية قالى اخرى عقلية او انفعالية وقد يكون ذلك نتيجة للوراثة او للبيئة او لكليهما. ثم هناك عوامل ثانوية كاحوال المدرسة التي يتلقى الطفل دروسه فيها

---

(١) The Backward Child, by Cyril Burt, University of London Press 20/-

وقد عقد المؤلف للاسباب الجسمية ستة فصول فيها لباب الكتاب فعالج اولا ما يصاب به الطفل منها في اثناء نموه كالنقص في نموه نمواً كافياً طولاً او وزناً او تكلساً في العظام ثم عالج الضعف في الصحة العامة كنقص الغذاء والكساح والتقوس في العمود الفقري والشذوذ في تركيب الخلق وما يصاب به من الامراض وما الى ذلك مما يتعلق بالاسنان وبالصداع والغدد

ثم انتقل الى علاج الضعف في احوال او اعضاء خاصة مما قد يعرقل العمل المدرسي كالضعف في العينين والاذنين فما يتعلق بجهاز الحركة في الجسم كقوة العضلات واختضاعها للعقل ودقة الحركة وسرعتها. وفي هذا الباب من البحث افرد فصلا خاصا للطفل الاعسر هو آية من آيات البحث الدقيق نظراً وعملا . وكذلك الفصل الذي يتعلق بالنطق وما يصاب به الطفل من تعسر النطق السليم ونواحي هذا العسر والوانه وأسبابها وطرائق معالجتها

وبعد الاسباب الجسمية التي تؤخر نمو الطفل العقلي بحث النواحي العقلية نفسها فحدد الذكاء وأساليب قياسه والناحية الوراثية فيه وآثاره في التربية وفي الاجتماع وما قد ينطوي عليه الطفل البليد احيانا من عبقرية كامنة بطيئة الظهور . ثم عالج نواحي خاصة لها مكانتها وتأثيرها في ذكاء الطفل كادراكه الحسي وقدرته على الملاحظة وتحليل الاصوات التي تنطوق سمعا والانتباه والذاكرة والشعور والتفكير . ويلي ذلك فصل في مكانة الناحية الانفعالية في قدرة الطفل العقلية وما تصاب به من نقص كالقلق الانفعالي وسرعة التأثر والهيج وشدة الاحساس والنزعة الى الانكبات والاحوال العصبية الشاذة

في كل فصل من هذه الفصول بل في كل فقرة منها يستمد المؤلف الحقائق من بحوث جمهرة العلماء الذين عالجوا هذا الموضوع ومن بحثه الخاص بين الاطفال المتأخرين في منطقة لندن. فالكلام علمي دقيق سواء أمن ناحية التحليل النظري اخذته امم من ناحية التطبيق العملي حتى يصح ان نقول ان هذا الكتاب «دائرة معارف» جامعة لكل ما يتعلق بالطفل المتأخر العقل من ناحية تشخيص الحالة الشاذة ومن ناحية اصلاحها وعلاجها معاً فهو مما لا تستغني عنه الام المهذبة ولا المشتغلون بتربية الاطفال

هذا ولا يسعنا ان نختم هذا الفصل الموجز في هذا المؤلف النفيس قبل ان نشير الى عناية معهد التربية عندنا بهذه الناحية من حياة الطفل المصري في عيادته السيكولوجية ومهمتها البحث في الطفل من جميع وجوهه ومعرفة نواحي شذوذه وعلل راجعة الى العقل او الحس او الخلق ويبحث القائمون بهذه العيادة في بيئة الطفل اذ قد يكون لحياته المنزلية تأثير فيها فتسمى العيادة الى علاج المنزل نفسه. وهذا عمل عظيم الشأن ولكنه لا يزال ضيق النطاق بحكم الطبع ولا ريب عندنا في ان معالي وزير المعارف الجليل سيوجه جانبا من عنايته الى هذه الناحية من نواحي التربية عند ما فتطبق القواعد المسلم بها في تربية الشواذ من الاطفال لكي يتاح لهم ان يتلقوا نوع التعليم الذي يؤاتيهم. ولا غرو فقد قال معاليه في افتتاح مؤتمر الطفل في السنة الماضية «وتربية الاطفال في حاجة الى تعاون العلم والطب والاخلاق والقانون وهيهات ان يتيسر للسواد الاعظم تدبير الاطفال من غير معونة الحكومة وجماعات الاصلاح من طريق التشريع والبذل والعناية »